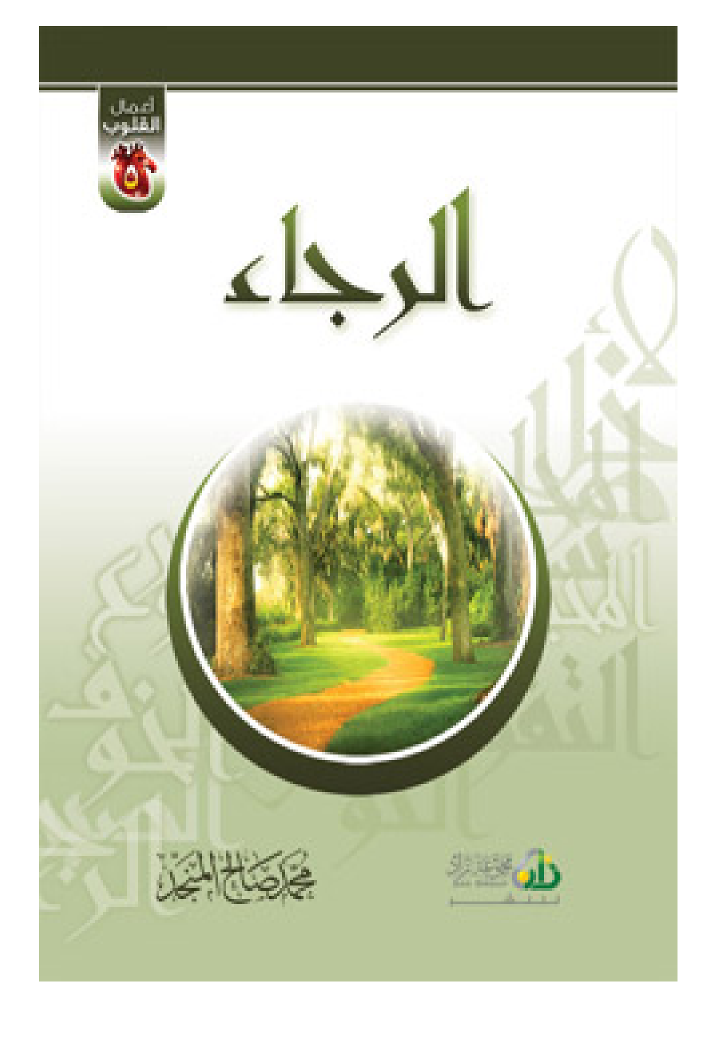


الرجـــاء

ح مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المنجد ، محمد صالح

الرجاء ، محمد صالح المنجد – الخبر ١٤٣٠هـ

٦٤ ص ، ١٢×١٧ سم

ردمك : ٣-٠٣-٨٠٤٧-٦٠٣-٩٧٨

١- الأمل ٢- العقيدة الإسلامية ٣- الأدعية والأوراد أ.العنوان

ديوي : ٢٤٠ ١٤٣٠/٢٠٧١

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



محمد صالح المنجد

الرجــاء



١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الرجاء ضروري للسائر إلى الله والعابد لربه، لو فارقه لحظة تلف أو كاد يتلف؛ لأن المسلم يدور ما بين ذنب يرجو غفرانه، وعيب يرجو إصلاحه، وعمل صالح يرجو قبوله، واستقامة وهداية يرجو حصولها وثباتها، وقرب من الله يرجو الوصول إليه.

ولذلك كان الرجاء من أقوى الأسباب التي تعين المرء على السير إلى ربه والثبات على الدين، ولاسيما في مثل هذا الزمن، زمن الفتن والشهوات والمحن والشبهات.

ولابد من فهم الرجاء فهماً صحيحاً حتى نكون من أهله، فإن لم نفهمه الفهم الصحيح نكون من أصحاب الأماني.

وهذا الكتيب هو الخامس ضمن سلسلة أعمال القلوب التي يسر الله لي إلقاءها في دورة علمية ،وشاركني في إعدادها

الفريق العلمي في مجموعة زاد، وها هو اليوم يسعى لإخراجها على هيئة مادة منشورة.

ونسأل الله التوفيق والسداد، إنه سميع مجيب.



تعريف الرجاء

الرجاء لغة:

(رجي) الراء والجيم والحرف المعتلّ أصلان متباينان، يدلُّ أحدُهما على الأمَل، والآخَر على ناحية الشيء.

فالأول الرّجاء، وهو الأمل. يقال رجَوت الأمر أرجُوه رجاءً. ثم يُتَّسع في ذلك، فربما عُبِّر عن الخوف بالرَّجاء. قال الله تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح:١٣]، أي لا تخافون له عَظَمَةً. وناسٌ يقولون: ما أرجو، أي ما أبالي. وفسَّروا الآية على هذا .

وأمَّا الآخر فالرَّجا، مقصور: النَّاحية من البئر؛ وكل ناحية رَجاً. قال الله جلّ وعز: ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾[الحاقة: ١٧].

وأما المهموز فإنّه يدلُّ على التأخير. يقال أرجأْتُ الشيءَ:

أخّرته. قال الله جلّ ثناؤُه: ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥١]؛ ومنه سمِّيت المُرْجئة[١].

والرجاء اصطلاحا:

هو: تعليق القلب بمحبوب يحصل حالاً[٢].

وقيل هو: ارتياح لانتظار محبوب متوقع، ولابد أن يكون له سبب[٣].

وقال ابن القيم: (الرجاء: هو امتداد القلب وميله إلى المحبوب، منقطعاً عما يقطعه عنه)[٤].

وقال أيضاً: (الرجاء: حادٍ يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب، وهو الله والدار الآخرة، ويُطَيِّبُ لها السير.

وقيل: هو الاستبشار بجود وفضل الله تبارك وتعالى والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه.

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٤١١).
(٢) فيض القدير (٥/ ٦٧).
(٣) فيض القدير (٥/ ٤٠٨).
(٤) الروح (٢٤٦).

وقيل: هو الثقة بجود الرب تعالى)[١].

فالرجاء هو تعلق القلب بالله سبحانه وتعالى، والاستبشار بجوده وفضله، والارتياح لمطالعة كرمه ومنّته.

وضد الرجاء اليأس، الذي هو تذكر فوات رحمة الله، وقطع القلب عن التماسها، وهو معصية، قال يعقوب عليه السلام لأبنائه: ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [يوسف:٨٧].

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٥).

الفرق بين الرجاء والتمني

لابد من التفريق بين الرجاء والتمنّي؛ لأن كثيراً من الناس يظن أنه راجٍ رحمة ربه، وهو في الحقيقة لا يملك إلا مجرد أماني ليست برجاء شرعاً.

والفرق بينهما أن التمني يكون مع الكسل، فلا يسلك صاحبه طريق الجد والاجتهاد.

وأما الراجي فهو الذي يرجو الخير مع بذل الأسباب.

يقول المناوي-رحمه الله-: (التمني مذموم، والرجاء محمود؛ لأن التمني يفضي بصاحبه إلى الكسل، بخلاف الرجاء فإنه تعليق القلب بمحبوب يحصل حالاً. قال الغزالي رحمه الله: والرجاء يكون على أصل، والتمني لا يكون على أصل، فالعبد إذا اجتهد في الطاعات يقول: أرجو أن يقبل الله مني هذا اليسير ويتم هذا التقصير ويعفو، وأحسن الظن، فهذا رجاء، وأما إذا غفل وترك الطاعة وارتكب المعاصي ولم يبالِ بوعد الله ولا وعيده، ثم أخذ يقول: أرجو منه الجنة والنجاة من النار؛

فهذه أمنية لا طائل تحتها، سماها: رجاء وحسن ظن، وذلك خطأ وضلال)[(١)].

وقد بَيَّن الله ﷻ أن رجاء المؤمنين هو رجاء مصحوب بعمل، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة:٢١٨]، فأولاً آمنوا، ثم هاجروا، ثم جاهدوا في سبيل الله، وبعد هذه الأعمال الصالحة الكبيرة العظيمة بَيَّن أنهم يرجون رحمة الله الغفور الرحيم.

وقال تعالى في ذم التمني: ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴾ [النساء:١٢٣].

قال الحسن -رحمه الله-: (إن الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمنّي، إنما الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل)[(٢)].

---

(١) فيض القدير (٥/ ٦٧).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣٠٣٥١)، وشعب الإيمان للبيهقي (٦٦)، وصححه ابن القيم.

ويقول الحسن -رحمه الله-: (إن قوماً ألهتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة، ويقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي. وكذب، لو أحسن الظن لأحسن العمل)(١).

وقد علم أرباب القلوب أن الدنيا مزرعة الآخرة، وأن القلب كالأرض لابد لها من بذر، وكذلك لابد للقلب من طاعات، والأرض لابد لها من تعاهد وسقي بالماء وحفر أنهار وسوق الماء إليها، وكذلك القلب لابد له من تعاهد، وأن يسقى بماء الطاعة والعبادة، وكذلك الأرض تحتاج حتى تُنبِت الزرع إلى صيانتها عن الأشياء الضارة، فترى المزارع ينتقي الدَّغَل فينتزعه من بين زرعه وينقيها من الحشائش الضارة، حتى لا تستهلك غذاء التربة وتؤذي زرعه، وكذلك المؤمن ينقي قلبه من أي شبهة وشهوة حتى لا تفسد عليه زروع الطاعة التي زرعها وسقاها بماء العبودية.

وقلّ أن ينفع إيمان مع خبث القلب كما لا ينمو البذر في الأرض السبخة.

---

(١) فيض القدير (٥/ ٦٧).

وينبغي أن يقاس رجاء العبد برجاء صاحب الزرع، فكل من طلب أرضاً طيبة وألقى فيها بذراً جيداً، ثم ساق إليها الماء في أوقات الحاجة، وتعاهدها بالرعاية، ونقى الأرض من الشوك والحشيش وما يفسد الزرع، ثم جلس ينتظر فضل الله تعالى أن يدفع الصواعق والآفات إلى أن يتم الزرع ويبلغ، فانتظار هذا يسمى رجاءً.

فإن بذر في أرض سبخة صلبة، فهذا أحمق.

وإن بذر في أرض طيبة ولكن لا يصلها الماء وقال: أنتظر المطر! فانتظار هذا تمنٍّ وليس رجاءً.

فاسم الرجاء يصدق على انتظار محبوب تمهّدت أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد وإرادته، ولم يبق إلا ما ليس في اختيار وإرادة العبد.

وهكذا الإنسان المؤمن يبذل من الطاعات والعبادات، وينتظر فضل الله أن يثبته، وأن لا يزله ولا يزيغه حتى الممات، وأن لا يضله حتى يلقاه وهو راضٍ عنه.

وقد ذم الله أصحاب الأماني من الأمم السابقة، فقال

تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا ﴾ [الأعراف:١٦٩].

والكافر صاحب الجنة قال: ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴾ [الكهف: ٣٦]، وأنى له الخير عند ربه وليس له شيء من العمل الصالح؛ فهو صاحب أمانٍ كاذبة.

فعلينا الحذر من الأماني الكاذبة، ولنعمل بجدٍ واجتهاد، مع موافقة السنة، ثم نرجو الله بعد ذلك أن يرزقنا من خيره وفضله في الدنيا والآخرة.

عوامل تحقيق الرجاء

إن تحقيق الرجاء في قلب المؤمن لابد له من عوامل تساعده على ذلك، وقد ذكر العلماء أربعة عوامل للوصول إلى تحقيق الرجاء، وهي:

١ـ ذكر سوابق فضل الله على العبد:

فيتذكر العبد ويستحضر أن الله مَنَّ عليه بفضائل سابقة، عندما خلقه، ووهبه السمع والبصر، وهيأ له الأرض للسكنى، وأنزل له الكتب، وأرسل له الرسل، وهيأه لدخول هذا الدين العظيم.

٢ـ ذكر وعد الله من جزيل ثوابه وعظيم كرمه وجوده:

وذلك بدون أن يكون العبد مستحقاً لهذا الثواب الجزيل، فإن الله يكافئ العبد بأكثر مما يستحقه، ويهبه ويمنحه رغم قلة عبادة العبد وطاعته؛ فمتى ما تذكر العبد هذا طمع

في ثواب الله وكرمه، ورجا أن يكون ممن يُمنح هذا الكرم والثواب.

٣ـ تذكر نعم الله في الحال:

وأنه ما زال ينعم علينا بأنواع النعم والألطاف، في الدين والدنيا، وفي أبداننا وأسماعنا وأبصارنا، ويرزقنا الأموال والأولاد والزوجات، فإن هذه النعم الحالية التي يرزقها الله للإنسان تحثه على رجائه والرغبة فيه.

٤ـ ذكر سعة رحمة الله تعالى:

وأن رحمته سبقت غضبه، وأنه هو الرحمن الرحيم الغني الكريم الرؤوف بعباده المؤمنين، ولذلك فإن تحقيق الرجاء يقوم على معرفة أسماء الله وصفاته.

وصحة رجاء العبد له علامة، سُئِل أحمد بن عاصم –رحمه الله– : ما علامة الرجاء في العبد؟

قال: أن يكون إذا أحاط به الإحسان أُلِهم الشكر راجياً لتمام النعمة من الله تعالى عليه في الدنيا وتمام عفوه عنه في الآخرة[١].

(١) مختصر تاريخ دمشق (٣٥٧).

ثـمرات الرجاء

للرجاء ثمرات كبيرة، وفوائد عظيمة، ومن تلك الثمرات:

الدخول في العبادات، والمواظبة عليها:

يقول ابن القيم -رحمه الله- في وصف أنواع المنيبين إلى الله: (ومنهم المنيب إليه بالدخول في أنواع العبادات والقربات، فهو ساعٍ فيها بجهده، وقد حبب إليه فعل الطاعات وأنواع القربات، وهذه الإنابة مصدرها الرجاء، ومطالعة الوعد والثواب، ومحبة الكرامة من الله)[١].

التلذذ بالعبادة:

يقول ابن القيم -رحمه الله-: (الرجاء حادٍ يحدو بالراجي في سيره إلى الله، ويطيّب له المسير، ويحثه عليه، ويبعثه على ملازمته، فلولا الرجاء لما سار أحد؛ فإن الخوف وحده لا يحرك العبد، وإنما يحركه الحب، ويزعجه الخوف، ويحدوه الرجاء)[٢].

---

(١) طريق الهجرتين (٢٧٢).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٥٠).

إظهار العبودية لله سبحانه وتعالى:

فبالرجاء تظهر العبودية من قِبَل العبد، والفاقة والحاجة للرب، وأنه لا يستغني عن فضله وإحسانه طرفة عين.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (طمع العبد في ربه ورجاؤه له يوجب عبوديته له، وإعراض قلبه عن الطلب من الله والرجاء له يوجب انصراف قلبه عن العبودية لله)[١].

وقال ابن القيم-رحمه الله-: (وأما استسلام العبد لربه واستسلامه بانطراحه بين يديه ورضاه بمواقع حكمه فيه: فما ذاك إلا رجاء منه أن يرحمه، ويقيله عثرته، ويعفو عنه، ويقبل حسناته مع عيوب أعماله وآفاتها، ويتجاوز عن سيئاته، فقوة رجائه أوجبت له هذا الاستسلام والانقياد والانطراح بالباب، ولا يتصور هذا بدون الرجاء ألبتة، فالرجاء حياة الطلب، والإرادة روحها)[٢].

---

(١) الفتاوى الكبرى (٥/ ١٨٢).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ٤٥).

تحقيق عبادة الدعاء:

قال ابن القيم-رحمه الله-: (الدعاء مبني على الرجاء؛ فإن الداعي ما لم يطمع في سؤله ومطلوبه لم تتحرك نفسه لطلبه؛ إذ طلبُ ما لا طمعَ فيه ممتنعٌ)[(١)].

النجاة من غضب الله:

وهذه الثمرة مبنية على الثمرة السابقة؛ فإن الله يحب من عباده أن يسألوه ويرجوه ويلحّوا عليه؛ لأنه جواد كريم، أجود من سُئِل وأوسع من أعطى، وأحب شيء إلى الجواد الكريم أن يسأله الناس ليعطيهم، ومن لم يسأل الله يغضب عليه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ الله يَغْضَبْ عَلَيْهِ**»[(٢)].

فهذه فائدة من فوائد الرجاء، وهي النجاة من غضب الله تعالى.

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٥٢٣).

(٢) رواه الترمذي (٣٣٧٣)، وصححه الألباني.

التعرف على أسماء الله وصفاته:

لأن الراجي متعلق بأسماء الله تعالى، فهو متعلق باسم الكريم يرجو منه الكرم، ومتعلق باسم الرحيم يرجو منه الرحمة، ومتعلق باسم التواب يرجو منه التوبة، ومتعلق باسم الغفور يرجو منه المغفرة.

وهذا يوجب له مزيد العلم بأسماء الله وصفاته، مما قد يدفعه إلى التعمق في دراستها وفهمها.

حصول المقصود:

فإن العبد إذا تعلق قلبه بربه أعطاه ما رجاه، وحصل له المطلوب.

قال ابن القيم-رحمه الله-: (وكلما كان العبد حسن الظن بالله، حسن الرجاء له، صادق التوكل عليه: فإن الله لا يخيّب أمله فيه ألبتة، فإنه سبحانه لا يخيّب أمل آمل، ولا يضيع عمل عامل)[1].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٧١).

وإذا حصل المقصود للعبد زاد إقباله على الله، وتعلقه به، وتوكله عليه، ودعاؤه وسؤاله، فيزداد خيراً وإحساناً.

وخير ما يرجوه العبد ويقصده من ربه: نيل رضاه، ودخول الجنة، ورؤية الله سبحانه وتعالى فيها.

فاحرص على أن ترجو ربك في هذه الأمور لتنال مقصودك.

محبة الرب سبحانه:

وهي نتيجة لسابقتها؛ فإن العبد متى ما حصل له مقصوده من ربه؛ تعلق به وأحبه، وزاد رضاً عنه.

بعثه على الشكر:

فإنّ العبد متى ما حصل له مقصوده من رجائه كان باعثاً له على الشكر الذي هو من أعلى مقامات العبودية.

دوام ذكر الله عز وجل:

لأنّ في الرجاء انتظارا وترقّبا وتوقعا لفضل الله عز وجل، وهذا يوجب مزيد التعلق بالخالق، ودوام الالتفات إليه.

والإنسان له مطالب متعددة، ومقاصد متنوعة، فهو يطمح إلى أن يرزقه الله النجاح في دراسته، ومن ثم يطمح إلى العمل، ثم يترقب الزوجة، ويرجو بعد ذلك الولد، ثم يرجو من الله صلاحه وهدايته... إلخ، فيمكث طول عمره يرجو الله ويتعلق به.

المؤمن بين الخوف والرجاء

قال العيني -رحمه الله-: (إن المكلف لو تحقق ما عند الله من الرحمة لما قطع رجاءه أصلاً، ولو تحقق ما عنده من العذاب لما ترك الخوف أصلاً، فينبغي أن يكون بين الخوف والرجاء، فلا يكون مفرطاً في الرجاء بحيث يصير من المرجئة القائلين بأنه لا يضر مع الإيمان شيء، ولا في الخوف بحيث يكون من الخوارج والمعتزلة القائلين بتخليد صاحب الكبيرة إذا مات من غير توبة في النار، بل يكون وسطاً بينهما كما قال تعالى: ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [الإسراء: ٥٧])[١].

وهذه قاعدة مهمة يجب تحقيقها في قلب كل عبد مؤمن بالله تعالى، وهو أن يدور بين الرجاء والخوف، ويجمع في قلبه الرجاء لرحمة الله والخوف من عذابه في وقت واحد، وبذلك يصبحُ مؤمناً صحيح الإيمان.

---

(١) عمدة القاري (٢٣/ ٦٦-٦٧).

قال أبو علي الروذباري-رحمه الله-: (الخوف والرجاء هما كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، و إذا نقص واحد منهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا جميعاً صار الطائر في حد الموت. لذلك قيل: لو وزن خوف المؤمن ورجاءه لاعتدلا)[١].

والجمع بين الخوف والرجاء هو طريقة القرآن، يقول النووي-رحمه الله-: (معظم آيات القرآن العزيز يجتمع فيها الخوف والرجاء)[٢].

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

ففي آية واحدة يرجّي الله عباده ببياض الوجوه، ويخوفهم بسوادها يوم القيامة.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

(١) شعب الإيمان (١٠٢٧).
(٢) شرح مسلم (١٧/ ٧٣).

فجمع بين التخويف بسرعة عقابه، والترغيب بمغفرته ورحمته.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ [الانفطار:١٣-١٤].

وقال سبحانه: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾ [القارعة:٦-٩].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، فيجتمع الخوف والرجاء في آية، أو آيتين مقترنتين، أو آيات متتالية.

والخوف مستلزم للرجاء كما أن الرجاء مستلزم للخوف عند المؤمن، لأن كلَّ خائفٍ راجٍ وكلَّ راجٍ خائفٌ، ولهذا حسن وقوع الرجاء في مواضع يحسن فيها وقوع الخوف، كما في قوله تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح: ١٣]. قال كثير من المفسرين: (مالكم لا تخافون لله عظمة)(١).

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٢٤٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٦١).

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (والخشية أبداً متضمنة للرجاء، ولولا ذلك لكانت قنوطاً، كما أن الرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمناً، فأهل الخوف لله والرجاء له هم أهل العلم الذين مدحهم الله)(١).

وقد ضل في هذا المقام كما بيّن العيني -رحمه الله- فرقتان: فرقة غلَّبَت جانب الرجاء، وفرقة غلَّبَت جانب الخوف، والذي عليه أهل الحق أهل السنة والجماعة الجمع بين المقامين.

وقد يَطَّلِعُ بعض من يقرأ كتب أهل العلم على أقوالٍ لبعض العلماء يرجحون فيها جانب الخوف على جانب الرجاء، وبعضهم يرجح جانب الرجاء على جانب الخوف، وهو ترجيح طفيف نسبي، وليس كما فعله المبتدعة، وهذان القولان لهما حظٌّ من النظر، وهناك من العلماء من يقول بهما، وقد عمل بهما بعض السلف.

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٢١).

قال ابن القيم-رحمه الله-: (انقسم الصالحون عند السباق، فمنهم من أخذه القلق فكان يقول: ويل لي إن لم يغفرها، أنا أمضي إلى النار أو يغفر.

ومنهم من غلب عليه الرجاء، كبلال الحبشي، كانت زوجته تقول: واحزناه. وهو يقول: واطرباه، غداً ألقى الأحبة، محمداً وصحبه)[١].

والقول الثالث أنه لا يغلّب جانب الخوف على جانب الرجاء أو العكس إلا في بعض الأحوال التي سنذكرها، والطرق الثلاثة صحيحة سليمة متقاربة في المعنى.

والله سبحانه وتعالى عندما أرادنا أن نجمع بين الخوف منه والرجاء؛ جعل من الأسباب ما يعيننا على ذلك، ومن تلك الأسباب: إخفاؤه عن الناس علام تُختم أعمالهم؛ ليعيشوا بين الرجاء والخوف.

قال ابن بطال –رحمه الله–: (في تغييب خاتمة العمل عن

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٧٣٥).

العبد حكمة بالغة وتدبير لطيف؛ لأنه لو علم وكان ناجياً أُعجِب وكسل، وإن كان هالكاً ازداد عتواً، فحجب عنه ذلك ليكون بين الخوف والرجاء)[١].

وقد ذكر بعض العلماء لطيفة: وهي أن الكسوف فيه إشارة إلى أن على العبد أن يكون ملازماً للخوف والرجاء؛ قال ابن حجر-رحمه الله-: (ومن حكمة وقوع الكسوف: التنبيه على سلوك طريق الخوف مع الرجاء؛ لوقوع الكسوف بالكوكب ثم كشف ذلك عنه، ليكون المؤمن من ربه على خوف ورجاء)[٢].

فإذا وقع الكسوف بالكوكب كان المؤمن على خوفٍ من ربه؛ لأن في الكسوف بيان عظمة الله وقدرته، وأنه قادرٌ على طمس تلك الآيات، وإهلاك الأرض بمن فيها، وإطباق السماوات عليها، فيخافه المؤمن لأجل ذلك.

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٣٠).
(٢) فتح الباري (٢/ ٥٣٢).

ولكنه يبقى في رجاءٍ من الله أن يزيل ذلك الكسوف، ويعيد لنا نور الكوكب.

فيجتمع في المؤمن في تلك اللحظة الخوف والرجاء معاً.

وما أحسن قول المناوي-رحمه الله-: (طريق السلامة بين طريقين مخوفين: طريق الأمن، وطريق اليأس. وطريق الخوف والرجاء هو العدل بينهما، فمتى فقدت الرجاء وقعت في طريق الخوف، ومتى فقدت الخوف وقعت في طريق الأمن، وطريق الاستقامة ممتد بينهما، فإن ملت عنه يمنة أو يسرة هلكت، فيجب أن تنظر إليهما جميعاً، وتركب منهما طريقاً دقيقاً وتسلكه)[١].

وقد ذكر العلماء أحوالاً يُغلب فيها جانب الرجاء على الخوف، وأحوالاً يغلب فيها جانب الخوف على الرجاء، ويكون ذلك بمثابة الدواء الذي يعالج به الداء.

قال الماوردي-رحمه الله-: (الرجاء والخوف دواءان؛ لكن لشخصين متضادي العلة، ومتى ما كان الطبيب جاهلاً أو خائناً يضع الدواء في غير موضعه)[٢].

---

(١) فيض القدير (٢/ ٧٨).

(٢) فيض القدير (٦/ ٣٦٩).

وليس المقصود تغليب أحد الجانبين مطلقاً كما فعل المبتدعة وضلوا بسبب ذلك؛ بل تغليب يقتضيه مقام الحال الذي فيه العبد.

فمن الأحوال التي يُغلِّب فيها العبد **جانبَ الرجاء على جانب الخوف:**

أـ حال الموت:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**يَقُولُ الله تعالى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**»[١].

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قَالَ الله عز وجل: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ**»[٢]، وفي هذين الحديثين تغليب لمقام الرجاء على مقام الخوف، قال الكرماني: (فيه إشارة إلى ترجيح جانب الرجاء على جانب الخوف)[٣].

---

(١) رواه البخاري (٧٥٠٥) ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) رواه أحمد (١٦٠٥٩)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) عمدة القاري (٢٥/ ١٠١).

وقد قيد العلماء هذا التغليب بحالة الموت، واستدلوا بحديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل وفاته بثلاث يقول: «**لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بالله**»[(١)].

قال النووي -رحمه الله-: (من المستحب تنبيه المحتضر على إحسان ظنه بالله تعالى، وذكر حسن أعماله عنده؛ ليحسن ظنه بالله تعالى ويموت عليه، وهذا الأدب مستحب بالاتفاق)[(٢)].

فإحسان الظن بالله مطلوبٌ دائماً، ولكن ترجيح الرجاء على الخوف إنما هو لمن حضرته الوفاة، وأقبل على ربه، فهذا ينبغي له أن يغلب جانب الرجاء على جانب الخوف.

ولهذا كان بعض السلف يأمر بنيه عند الموت أن يقرؤوا عليه آيات الرحمة؛ حتى تخرج روحه وهو يحسن الظن بالله ويعتقد أنه سيغفر له ويرحمه ويتقبله ويستقبله بالإنعام[(٣)].

والشافعي في مرض موته قيل له: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟

---

(١) رواه مسلم (٢٨٧٧).

(٢) شرح مسلم (٢/ ١٣٨).

(٣) شعب الإيمان (١٠٠٨) وحلية الأولياء (٣/ ٣١).

قال: أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، ولسوء فعالي ملاقياً، وعلى الله وارداً فلا أدري روحي إلى جنة تصير فأهنيها، أو إلى نار تصير فأعزيها، ثم بكى وأنشأ يقول:

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي
جَعَلْتُ الرَّجَا مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلَّمَا
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِـــي فَلَمَّـا قَرَنْتُـهُ
بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمَا(١)

وقد يتساءل البعض: لماذا غُلِّب جانب الرجاء على جانب الخوف في تلك الحالة؟.

يقول النووي -رحمه الله- مجيباً عن هذا: (إذا دنت أمارات الموت غَلَّب جانب الرجاء أو مَحَّضَه؛ لأن مقصود الخوف: الانكفاف عن المعاصي والقبائح، والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذا الحال،

(١) تاريخ دمشق (٥٠/ ٣٣١).

فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى والإذعان له)[١].

ب- عند قنوط البعض من رحمة الله بسبب الذنوب:

قد يقع بعض الناس في القنوط من رحمة الله بسبب ذنوبه ومعاصيه التي عملها، فهذا ممن يُغلَّب في حقه جانب الرجاء، فيُذكَّر بعفو الله ومغفرته، وأن التوبة تَجُبُّ ما قبلها، وغير ذلك.

قال المناوي-رحمه الله-: (الرجاء والخوف في قرن؛ إن لم يغلب القنوط وإلا فالرجاء أولى)[٢].

ومن الأحوال التي يُغَلَّب فيها جانب الخوف على جانب الرجاء:

أ- عند راحة الناس ودَعَتِهم وتنعمهم:

قال النووي -رحمه الله-: (قال العلماء: يستحب للواعظ

---

(١) شرح مسلم (١٧/ ٢١٠).
(٢) فيض القدير (٢/ ٤٤٦).

أن يجمع في موعظته بين الخوف والرجاء؛ لئلا يقنط أحد ولا يتكل، قالوا: وليكن التخويف أكثر؛ لأن النفوس إليه أحوج، لميلها إلى الرجاء والراحة والاتكال وإهمال بعض الأعمال)[١].

ب- عند عمل المعصية:

فإذا عمل الإنسان بمعصيةٍ فعليه أن يتذكر غضب الله ونقمته وعقابه، وأن يتذكر النار وزبانيتها وعذابها؛ ليسارع إلى التوبة إلى الله، ويبتعد عن سوء صنيعه وعمله.

ومن العجب أن أقواماً في زماننا يعملون بالمعصية ويرجحون جانب الرجاء، حمقاً منهم وجهلاً بالله وعظمته.

يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى-: (قد تعلق ضرب من الناس بنصوص الرجاء واتكل عليها وتعلق بها بكلتا يديه، وإذا عوتب على الخطايا والانهماك فيها سرد لك ما يحفظه من سعة رحمة الله ومغفرته ونصوص الرجاء.

(١) شرح النووي (١٧/ ٧٣).

وللجهال من هذا الضرب من الناس في هذا الباب غرائب وعجائب، كقول بعضهم:

وَكَثِّرْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الخَطَايَـا

إِذَا كَـانَ القُـــدُومُ عَلَى كَرِيـمِ

وقول بعضهم: التنَزه من الذنوب جهل بسعة عفو الله.

وقال الآخر: ترك الذنوب جراءة على مغفرة الله واستصغار لها.

وقال محمد بن حزم: رأيت بعض هؤلاء من يقول في دعائه: اللهم إني أعوذ بك من العصمة.

وهل هذا إلا من خِدَع النفوس وغرور الأماني، فسبحان الله ما يبلغ الغرور بالعبد!!.

وحسن الظن ينفع من تاب وندم، وأقلع وأبدل السيئة بالحسنة، واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة، ثم أحسن الظن، فهذا حسن ظن، والأول غرور.

ولا تستبطل هذا الفصل؛ فإن الحاجة إليه شديدة لكل

أحد، ففرق بين حسن الظن بالله وبين الغِرَّة به، فالعالم يضع الرجاء مواضعه، والجاهل المغتر يضعه في غير مواضعه)[١].

جـ عند الأمن من مكر الله وعذابه:

إن المسلم المواظب على طاعة الله، والمداوم على ما يحبه؛ قد يقع في شيء من الأمن من مكر الله وعذابه بسبب أعماله الصالحة، ولما يرى من نفسه من الدوام على الخير والطاعة، فإذا بدأ القلب يأمن من مكر الله تعالى فعلى الإنسان أن يُغَلِّب جانب الخوف، وأن يتذكر عقوبة الله، واستدراجه للعبد، وكيف أن بعض الناس قد يعمل بالأعمال الصالحة ثم يختم له بالسوء والعياذ بالله، فيحاول أن يجلو عن قلبه هذا الصدأ بتغليب جانب الخوف على جانب الرجاء حتى يذهب ما به.

قال المناوي – رحمه الله-: (الرجاء والخوف في قرن؛ إن لم يغلب القنوط وإلا فالرجاء أولى، ولا أمن من المكر وإلا فالخوف أولى)[٢].

(١) الجواب الكافي (١١-١٥).
(٢) فيض القدير (٢/ ٤٤٦).

أنواع الرجاء

على ضوء ما سبق نستطيع أن نقول: إن الرجاء ثلاثة أنواع، نوعان محمودان، ونوع مذموم.

أما النوعان المحمودان:

١- فرجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهذا يرجو ثواب الله.

٢- ورجاء رجل أذنب ذنوباً ثم تاب منها، يرجو مغفرة الله ومحو الذنوب والتجاوز عنها وسترها.

وأما النوع المذموم:

٣- فرجاء رجل متمادٍ في التفريط والمعاصي والسيئات والخطايا، ويرجو رحمة ربه والمغفرة بلا عمل!! فهذا غرورٌ وتمنٍ ورجاءٌ كاذبٌ.

وما أحسن قول أبي عثمان الحيري: (من علامة السعادة:

أن تطيع وتخاف أن لا يقبل، ومن علامة الشقاء: أن تعصي وترجو أن تنجو)[(١)].

أي الرجاءين المحمودين أعظم؟!

اختلف علماء القلوب: أي الرجاءين المحمودين أعظم؟.

رجاء الثواب والأجر من المحسن؟ أم رجاء المغفرة من التائب المسيء؟.

فرجحت طائفة رجاء المحسن؛ لقوة أسباب الرجاء معه من الطاعات، فأسبابه قوية ورجاؤه حقّ.

والطائفة الأخرى رجحت رجاء المذنب؛ لأن رجاءه فيه انكسار ومسكنة مقرونة بذلة رؤية الذنب واستحضار المعصية، فرجاؤه خالص من العجب والاغترار بالعمل.

وكلا القولين لهما حظ من النظر.

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٠١).

والمسلم الحق يجمع بين الرجاءين، فمتى ما أنعم الله عليه بأن يعمل الأعمال الصالحة رجى ثوابه وجنته، ومتى ما حصلت منه معصية - وكل إنسان خطاء - فإنه يرجو عفو ربه ومغفرته لذنوبه.

درجات الرجاء

الرجاء درجات، درجة أرفع من درجة، ومراتب بعضها فوق بعض:

١ـ الدرجة الأولى:

رجاء يبعث العامل على الاجتهاد في العبادة، ويولد عنده اللذة بها ولو كانت شاقة أو صعبة، ومن عرف الأجر الذي سيناله هان عليه ما يبذل فيه، ومن رجا الأرباح العظيمة في سفره هانت عليه مشقة السفر، ألا ترى أن التجار يكابدون ويسهرون ويسافرون ويغتربون رجاء الربح الذي يتوقعونه!.

وكذلك المحب الصادق الذي يسعى في مرضاة الرب تهون عليه مشقة صلاة الفجر، ومشقة الوضوء في البرد، ومشقة الجهاد، ومشقة الحج والعمرة، ومشقة طلب العلم، ومشقة انتصاب الجسم في الليل، ومشقة جوع الصيام، بل تنقلب عنده إلى لذّة!!.

فالدرجات العملية في التعبد لله: مشقة ومن ثم لذة، يقول أحد العلماء: (كابدت قيام الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة)[١]، فالمرء لا يصل إلى لذة العبادة إلا بعد أن يذوق مشقتها.

فإذا قوي تعلق الرجاء بالعِوَض سمحت الطباع بترك العادات وترك الراحة.

فإذا عرفت النفس ثواب الصدقة سمحت بالتخلي عن المال.

وإذا عرفت ثواب الصيام سمحت بالتخلي عن الأكل والشرب والجماع.

وإذا عرفت ثواب الرضا بالقضاء والقدر صبرت على الألم، حتى يصبح المر عندها حلواً، ويصبح العلقم عسلاً.

وهكذا ...

---

(١) لطائف المعارف (٤٣).

والإنسان مفطور على أن لا يترك محبوباً إلا لمحبوب أعظم منه، والمحبوب الأعظم هنا هو رضا الرب والجنة والحسنات والأجر.

٢ـ الدرجة الثانية:

المجاهدون لأنفسهم بترك مألوفاتها واستبدالها بمألوفاتٍ هي خير منها، فرجاؤهم أن يبلغوا مقصودهم بالهمة، وهذا يلزم له العلم وهو الوقوف على الأحكام الدينية لأن رجاءهم متعلق بحصول ذلك لهم.

٣ـ الدرجة الثالثة:

رجاء أرباب القلوب لقاء الخالق والاشتياق إليه سبحانه وتعالى، وهذا الذي يزهّد الإنسان في الدنيا تماماً، وهو أعلى الأنواع: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف:١١٠]، ﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَـَٔاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت:٥].

هذا الرجاء (رجاء اللقيا) هو محض الإيمان وزبدته، وإليه

تشخص أبصار العابدين المجتهدين، وهو الذي يسليهم، ولذلك ضرب الله لهم أجلا تسكن إليه نفوسهم.

وأصحاب هذه الدرجة نفوسهم مضطربة حتى يلقوا الله تعالى؛ لأنهم في اشتياق إليه ويريدون لقاءه، أعدوا العدة واجتهدوا ولسان حالهم يقول: متى تنتهي الدنيا حتى نلقى الله؟! ولقاء الرب تبارك وتعالى عندهم أعظم من كل نعيم الجنة.

واسمع إلى قصة عمير بن الحُمَام الأنصاري رضي الله عنه الذي اشتاق للقاء الله ورأى أن وقت أكل التمر وقت طويل للقائه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه في غزوة بدر قال: دنا المشركون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرضهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ**» قال: يقول عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «**نَعَمْ**» قال: بخ بخ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟**» قال: لا يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها. قال: «**فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**» فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن، ثم قال:

لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة. فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتل حتى قتل(١).

فلما علم الله شوق هذه الطائفة من عباده -وهم الندرة والقلة- وأن نفوسهم تضطرب حتى تلقاه؛ ضرب لهم موعداً تسكن إليه نفوسهم، وتعمل حتى تقدم إلى الله، فقال لهم: ﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت:٥].

وشتان بين كثير من الناس الآن وبين السلف في هذه الأمور، فنجد أن الناس لا يلتفتون إلى هذه المعاني في خضم الحياة والعمل، ولا يحوم طائر فكرهم حولها، مع أنها كانت قائمة في نفوس الصحابة ومذكورة في الكتاب والسنة.

فنسأل الله أن يجعلنا ممن ترقى همته به، ليترقى في درجات الرجاء والعبادة.

---

(١) رواه مسلم (١٩٠١).

الرجاء والذنوب

إن الذنب مهما عظم أو كبُر فإن باب الرجاء مفتوح لصاحبه إذا تاب، ليس له أن يقنط، أو يظن نفسه هالكاً لا محالة؛ لا، بل عليه أن يشرع في التوبة من جرمه، وأن يرجو رحمة ربه.

والله عز وجل قد فتح باب الرجاء لعباده في مغفرة أي ذنب، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣].

والخطاب هنا ليس لمن أذنب ذنباً صغيراً، إنما لمن أسرف على نفسه بالمعاصي والذنوب، فباب الرحمة والمغفرة مفتوح لمن تاب وأناب.

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام:٥٤].

قال ابن جرير -رحمه الله-: (فتأويل الكلام -أي: تفسير الآية-: وإذا جاءك يا محمد القوم الذين يصدقون بتنْزيلنا وأدلتنا وحججنا، فيقرون بذلك قولاً وعملاً، مسترشديك عن ذنوبهم التي سلفت منهم بيني وبينهم: هل لها من توبة؟ فلا تؤيسهم منها، وقل لهم: سلام عليكم أمنة الله لكم من ذنوبكم أن يعاقبكم عليها -أي عليكم الأمان لن يعاقبكم- بعد توبتكم منها، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ يقول: قضى ربكم الرحمة بخلقه)[1].

وقال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة:١٠٢-١٠٣].

قال ابن جرير -رحمه الله-: (يعني جل ثناؤه بالعمل الصالح الذي خلطوه بالعمل السيئ: اعترافهم بذنوبهم وتوبتهم منها، والآخر السيئ تخلفهم عن رسول الله ﷺ حين خرج غازياً

(١) تفسير الطبري (٥/ ٢٠٥).

وتركهم الجهاد من المسلمين، ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ و "عسى" من الله واجبة، وإنما معناه: سيتوب الله عليهم)(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله تبارك وتعالى «**يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»(٢)، فالله عز وجل يفتح باب الرجاء العظيم للعباد.

و قال ابن عمر رضي الله عنهما: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إِنَّ الله يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ؛ قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي**

---

(١) تفسير ابن جرير (٦/ ٤٥٩).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٤٠)، وصححه الألباني.

الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ! فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ».

«وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ»(١).

كل هذه المغفرة والرحمة -أخي المسلم- إذا تبت من ذنوبك توبة حقيقية، وانكسرت أمام الله، وتضرعت إليه وتذللت، وبذلت الأسباب، وامتنعت عن الذنوب، واستقبلت حياة جديدة ندمت فيها على ما فات، وعزمت على أن لا تعود إلى ذلك مستقبلاً.

فاعمل واجتهد، ولا تضيع الفرصة من بين يديك، واعلم أن الموت إذا خطف روحك فستندم على فوات هذه الفرصة، وتتمنى العودة لاستغلالها، ولكن هيهات هيهات، فقد فات أوان العمل، وحان وقت الحساب، والله المستعان.

(١) رواه البخاري (٢٤٤١) ومسلم (٢٧٦٨).

التداوي بالرجاء

الرجاء دواء يحتاج له رجلان:

١- رجل غلب عليه اليأس حتى ترك العبادة، وجزم أنه ليس هناك فائدة.

٢- ورجل غلب عليه الخوف حتى أضرّ بنفسه وأهله، فتعدّى خوفه الحد الشرعي المطلوب، فلابدّ أن يُذَكَّر برجاء الله حتى يتوازن.

أما العاصي المغرور المتمني على الله مع الإعراض عن العبادة فلا ينفع معه أبداً دواء الرجاء، ولو استعملت معه الرجاء لزدته ضلالاً، فلا ينفع له إلا دواء الخوف، فيوعظ بسياط الخوف ويقرّع بالمنايا، وهذا أمر مهم ينبغي أن يتنبه له الوُعّاظ.

وقد حصل من بعض دعاة السوء من دخل على أقوام من أصحاب الذنوب الكبيرة، وحدثهم عن الرجاء، وبشرهم بالخير. وهذا من الجهل العظيم.

وكما أن الواعظ لا ينبغي له أن يرجِّي الناس كثيراً، فكذلك لا ينبغي له أن يخوفهم كثيراً حتى يصيبهم بالقنوط، بل ينظر إلى الوضع والمصلحة.

قال بعض العلماء: (يجب أن يكون واعظ الناس متلطفاً معهم، ناظراً إلى مواضع العلل، معالجاً كل علة بما يليق بها).

قال علي رضي الله عنه: (إن الفقيه حق الفقيه من لم يُقَنِّط الناس من رحمة الله تعالى، ولم يرخص لهم في معاصيه، ولم يؤمِّنهم عذاب الله، ولم يدع القرآن رغبة منه إلى غيره)[(١)].

وقال سفيان بن عيينة: (من ذهب يقنط الناس من رحمة الله، أو يقنط نفسه فقد أخطأ)[(٢)].

وعن زيد بن أسلم رضي الله عنه: (أن رجلاً كان في الأمم الماضية يجتهد في العبادة، ويشدد على نفسه، ويقنط الناس من رحمة الله تعالى، ثم مات فقال: أي رب، ما لي عندك؟ قال: النار.

---

(١) سنن الدارمي (٣٠٤).
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٦٥).

قال: فأين عبادتي واجتهادي؟! فقيل له: كنت تقنط الناس من رحمتي، وأنا أقنطك اليوم من رحمتي)[(١)].

فلابد أن يكون هناك توازن بحسب حال الناس، فإذا كانوا ميّالين إلى التفريط والمعاصي والتساهل غلّب التخويف، وإذا كان عندهم خوف زائد ويأس من رحمة الله غلّب الرجاء، وهكذا.

(١) تفسير عبد الرزاق (٣/ ٢٣٦).

مسائل في الرجاء

الرجاء متعلق بالأعمال الحاضرة والماضية:

إن المؤمن إذا عمل العمل رجا من الله أن يقبله ويثيبه عليه، وبعض الناس إنما يقصر رجاءه على ما يعمله في الوقت الحاضر؛ فإذا عمل العمل نسيه.

وليس هذا من شأن عباد الله المؤمنين؛ فإن عليهم أن يرجوا الخير لأعمالهم السابقة، كما أن عليهم أن يخشوا من ذنوبهم الماضية.

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: (تعلق الرجاء والخوف بالحاضر والماضي؛ لأن عاقبته المطلوبة والمكروهة مستقبلة، فهو يرجو أن يكون الله تقبل عمله فيثيبه عليه فيرحمه في المستقبل، ويخاف أن لا يكون تقبله فيحرم ثوابه)[١].

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٥٢).

الرجاء في الأمور الدنيوية:

الرجاء ليس مقصوراً على الآخرة، بل هو حاصل في الأمور الدنيوية.

فالإنسان قد يرجو من الله مالاً، أو ولداً، أو زواجاً، أو وظيفةً، أو زوال مرض، أو العثور على مفقود، كما جرى من نبي الله يعقوب عليه السلام حين قال: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف:٨٧].

فأمرهم بالرجاء وعدم اليأس من وجود يوسف وأخيه؛ وهو أمر دنيوي.

قال ابن جرير: (حين طمع يعقوب في يوسف قال لبنيه: يا بني اذهبوا للموضع الذي جئتم منه وخلفتم أخويكم به، ولا تقنطوا من أن يروّح الله عنا ما نحن فيه من الحزن على يوسف وأخيه بفرج من عنده فيُرِينيهما، ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ ﴾ ولا يقنط من فرجه ورحمته ولا يقطع الرجاء منه ﴿إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾)[1].

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٢٨٤).

ورجاء الله في الأمور الدنيوية أمرٌ مهم جداً؛ لأن المؤمن متى ما نقص رجاؤه بالله في أمر الدنيا وقع في الشرك الخفي.

فالإنسان متى ما كمل رجاؤه تعلَّق قلبه بالله وحده ولم يتعلق بغيره من المخلوقين، ومتى ما نقص رجاؤه تعلق بالمخلوقين ورجى منهم أموره الدنيوية، وهذا هو الشرك الخفي الذي لا يكاد أحد أن يسلم منه إلا من عصمه الله تعالى[١].

الرجاء مستمر بعد الموت:

إذا وصل العبد إلى ربه ولقيه ازداد رجاؤه إذا كان محسناً؛ لأن الأجير إذا جاء وقت تسلم الأجرة ازداد رجاؤه في الذي سيحصل عليه، وإذا قدم العباد المحسنون على الله ازداد رجاؤهم فيما سيحصلون عليه.

وقد بينت لنا السنة الشريفة أن العبد ينادي ربه: «**رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةِ**»[٢]، كي يرجع إلى أهله وماله، لأنه فتحت له

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٩٤).

(٢) رواه أحمد (١٨٥٥٧)، وصححه الألباني.

نافذة إلى الجنة في قبره، فهو يأتيه من النعيم والطِّيْب، ثم يقال له: «**نَـمْ كَنَوْمَـةِ العَرُوسِ الَّذِي لاَ يُوقِظُـهُ إِلاَّ أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ**»[1].

وأما الكفار فإنهم يخافون في قبورهم، ويرجون أن لا تقوم الساعة؛ لما يرونه من العذاب في القبر، ولما يعلمونه من شدة العذاب الذي ينتظرهم.

وانظر إلى آل فرعون وجنوده الذين قال الله عنهم: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٦] فهم الآن في قبورهم خوفهم يتضاعف!! لأنهم يعرضون على النار كل يوم، ويعرفون إلى أي مصير سيصيرون، فكيف يكون خوفهم وذعرهم الآن؟!.

نسأل الله السلامة والعافية.

(١) رواه الترمذي (١٠٧١)، وحسنه الألباني .

متى يصبح رجاء المخلوقين شركاً أكبر؟

إن أعلى أنواع الرجاء هو رجاء الله وحده وقطع رجاء المخلوقين.

ولكن قد يدخل في قلب الإنسان شيءٌ من رجاء الناس، فيرجو شخصاً لوجاهته، أو لماله، أو لسلطانه، وهذا من الدَّخَن الذي لا يكاد يسلم شخصٌ منه.

ولكن السؤال المهم هو: متى يصبح رجاء المخلوقين شركاً أكبر؟

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (من سوَّى بين الخالق والمخلوق في الحب له، أو الخوف منه، والرجاء له؛ فهو مشرك)[١].

فهذه هي القاعدة: متى ما سويت رجاءك لله برجائك للمخلوق دخلت في الشرك الأكبر.

فاحذر من هذا، واسلك الجادة، لعل الله ينجيك من عذابه الأليم.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٣٩).

الخاتمة

على المؤمن أن يكون جامعاً بين الخوف والرجاء في عبوديته، حتى يتحقق له مطلوبه ومراده.

يقول المناوي -رحمه الله-: (الخوف والرجاء هما سهما العبودية، إذ هي اضطرار وافتقار، فالخوف اضطرار، والرجاء افتقار، والعبادة لله إنما تصفو بخوف التقصير وشكر التوفيق، فرؤية التقصير توجب الخوف، ورؤية التوفيق توجب الرجاء)[١].

وعلى المسلم أيضاً أن يبتعد عن القنوط من رحمة الله سبحانه، وأن يحسن الظن بالله تعالى.

قال المناوي-رحمه الله-: (القنوط: تضييق لمجاري الرحمة والإفضال، ومن ثَمَّ كان من الكبائر القلبية، فحسن الظن وعظم الرجاء أحسن ما تزوده المؤمن لقدومه على ربه)[٢].

---

(١) فيض القدير (٣/ ٣١٥).

(٢) فيض القدير (٦/ ٤٥٥).

ولا ينبغي لمن نصح نفسه أن يتعامى عن مساوئها، ويرسل نفسه في المعاصي، ويتعلق بحسن الرجاء وحسن الظن بالله.

قال أبو الوفاء ابن عقيل-رحمه الله-: (احذر ولا تغتر؛ فإنه قطع اليد في ثلاثة دراهم، وجلد الحد في مثل رأس الإبرة من الخمر، وقد دخلت المرأة النار في هرة، وأشعل الشملة ناراً على من غلها وقد قُتِل شهيداً)[١].

ولا تكن قليل الرجاء؛ فإنك حينها تكون كالإنسان الميت، يقول ابن الرعلاء:

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِمَيْــتٍ
إِنَّــمَا المَيْــتُ مَيِّــتُ الأَحْيَــاءِ
إِنَّمَـا المَـيْـتُ مَــنْ يَعِيشُ ذَلِيــلاً
كَاسِفـاً بالُـــهُ قَلِيـلَ الرَّجَــاءِ[٢]

(١) الجواب الكافي (٢١).
(٢) معجم الشعراء (١/ ٢٧).

وعليك أخي في الله أن تعلم أن أعمال القلوب ترتبط بعضها ببعض، وكلما قوي أحدها قَوَّى غيره، وكلما ضعف أضعف غيره.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (اعلم أن محركات القلوب إلى الله عز وجل ثلاثة: المحبة، والخوف، والرجاء، وأقواها المحبة.

والخوف المقصود منه الزجر والمنع من الخروج عن الطريق، فالمحبة تلقي العبد في السير إلى محبوبه، وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه، والخوف يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب، والرجاء يقوده.

فهذا أصل عظيم يجب على كل عبد أن يتنبه له؛ فإنه لا تحصل له العبودية بدونه، وكل أحد يجب أن يكون عبداً لله لا لغيره)[1].

واعلم أن الاهتمام بعمل قلبيٍّ واحد وعدم الاهتمام بالبقية قد يوقع في الخطأ والضلال.

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٩٥).

قال ابن تيمية–رحمه الله–: (قال بعضهم: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد)(١).

اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واكنفنا بكنفك الذي لا يُرام، وارحمنا بقدرتك علينا ألّا نهلك، إنك سميع الدعاء وأهل الرجاء، انقطع الرجاء إلا منك، أنت حسبنا ونعم الوكيل.

يَا رَبِّ مَا أَقْرَبَ مِنْكَ الفَرَجَا

أَنْتَ الرَّجَاءُ وَإِلَيْـكَ المُلْتَجَـى

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٨١).

اختبر فهمك

فيما يلي مستويان من الأسئلة حول الموضوع، أسئلة إجاباتها مباشرة، وهي أسئلة المستوى الأول.

وأسئلة تحتاج إلى بحث وتأمل وهي أسئلة المستوى الثاني.

أسئلة المستوى الأول (المباشرة)

١- ما الفرق بين الرجاء والتمني؟

٢- اذكر أربعا من ثمرات الرجاء.

٣- اذكر العوامل التي توصل إلى تحقيق الرجاء.

٤- آية من القرآن تجمع بين الخوف والرجاء. اذكرها.

٥- ما الأحوال التي يغلّب فيها المؤمن الخوف على الرجاء؟

٦- ما الأحوال التي يغلّب فيها المؤمن الرجاء على الخوف؟

٧- اذكر أنواع الرجاء وبين المحمود منها والمذموم.

٨- ما درجات الرجاء؟

٩- ما علامة صحة رجاء العبد؟

١٠- ما هي محركات القلوب؟ واذكر أقواها.

أسئلة المستوى الثاني (الاستنباطية)

١- وضح العبارة التالية: (كل خائف راج، وكل راج خائف).

٢- اذكر بعض العوامل التي توصل إلى تحقيق الرجاء، غير ما ذكر في هذا الكتيب.

٣- هل الرجاء دواء؟ وضح كيف يكون ذلك؟

٤- اذكر القاعدة التي يجب تحقيقها في قلب المؤمن من ناحية الخوف والرجاء.

٥- لماذا كان دوام ذكر الله ثمرة من ثمرات الرجاء؟

٦- ما معنى القنوط؟ وكيف يبتعد المسلم عنه؟

٧- متى يصبح رجاء المخلوقين شركا أكبر؟

٨- هل الرجاء مقصور على الأمور الأخروية فقط؟ مع التوضيح.

٩- كيف يكون الحذر من الأماني الكاذبة؟

١٠- اذكر عددا من الكتب التي اهتمت بموضوع الرجاء.

المحتويات